(سورة المدثر)

{ يٰأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ } { قُمْ فَأَنذِرْ } { وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }

{ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } { وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ } { وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ }

{ يا أيها المدّثر } أي: المتلبس بدثار البدن، المحتجب بصورته { قُمْ } عن ما ركنت إليه وتلبست به من أشغال الطبيعة وانتبه عن رقدة الغفلة { فأنذر } نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم { وربّك فكبر } أي: إن كنت تكبر شيئاً وتعظم قدره فخصص ربّك بالتعظيم والتكبير لا يعظم في عينك غيره ويصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه { وثيابك فطهّر } اي: ظاهرك طهره أولاً قبل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق وقبائح الأفعال ومذامّ العادات ورجز الهيولى المؤدّي إلى العذاب { فاهجر }

أي: جرّد باطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الغاسقة والغواشي الظلمانية الهيولانية { ولا تمنن تستكثر } ولا تعطي المال عند تجرّدك عنه مستغزراً طالباً للأغواض والثواب الكثير به، فإن ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همّة، بل خالصاً لوجه الله افعل ما تفعل صابراً على الفضيلة له لا لشيء آخر، وهذا معنى قوله:

{ ولربّك فاصبر } أو لا تعط ما أعطيت في الزهد والطاعة والترك والتجريد مستكثراً رائياً إياه كثيراً فتحتجب برؤية فضيلتك وتبتلى بالعجب فيكون ذنب رؤية الفضيلة أعظم من ذنب الرذية، كما قال عليه السلام:

« لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أشدّ من الذنب، العجب العجب العجب » ،

بل اصبر على الفضيلة خالصاً لوجه ربّك لا لغرض آخر هارباً عن الرذيلة بالطبع لا فضيلة لها أصلا، فلا تبتهج برؤية زينتها بالفضيلة بل بفضل الله عليك فتتذلل وتخضع لا تتعزز وتستكثر.

{ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ } { فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ }

{ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ } { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً }

{ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً } { وَبَنِينَ شُهُوداً } { وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً }

{ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ } { كَلاَّ إِنَّهُ كان لآيَاتِنَا عَنِيداً }

{ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً } { إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ } { فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ }

{ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ } { ثُمَّ نَظَرَ }

{ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ } { ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ }

{ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ }

{ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشَرِ } { سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }

{ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ } { لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ }

{ فإذا نقر في الناقور } أي: نزع الروح عن الجسد فتنقر الهيئات الروحانية ومحاسن الصور والملاذ والإدراكات عنه ويؤثر بالتفريق والتبديد في ذلك المنقور، وذلك عبارة عن النفخة الأولى للإماتة أو ينقر في البدن المبعوث فتنتقش فيها الهيئات المكتسبة المردية الموجبة للعذاب أو الحسنة المنجية الموجبة للثواب، فيكون عبارة عن النفخة الثانية التي للإحياء وهو الأظهر، فلا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على أحد وإن خفي يسره على غيرهم إلا على المحققين من أهل الكشف والعيان { سأصليه سقر } بدل من قوله:

{ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً } [المدثر، الآية:١٧]

والصعود: عقبة شاقة المصعد، عن النبي صلى الله عليه وسلم:

« جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً »

وهو والله أعلم إشارة إلى طور النفس الذي هو أعظم أطوارها أي: أفقها الذي يلي الفطرة الإنسانية يصعد إليه سنين متطاولة في صورة التعذيب وبرازخ الاحتجاب يهلك ويحترق فيها كما قال عليه السلام:

« يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت ويهوي فيه إلى أسفل سافلين »

كذلك ينتقل دركة دركة في برازخ متنوعة أبداً فذلك الصعود هو سقر الطبيعة من أعلى طبقاتها إلى أسفلها سأصليه إياها لا تبقى فيها شيئاً إلا أهلكته وأفنته وإذا هلك لم تذره هالكاً حتى يعاد فأهلكته مرة أخرى هكذا دائماً.

{ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ } { عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ }

{ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلاَّ مَلَٰئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِيمَٰناً وَلاَ يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ }

{ لوّاحة للبشر } مغيرة لظواهر الأجساد إلى لون سواد خطاياهم وهيئات سيئاتهم وذلك من خاصية تلك النار كما تغير النار الجسمانية الألوان والهيئات { عليها تسعة عشر } هي الملكوت الأرضية التي تلازم المادة من روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وتردّهم في مهاويها.

{ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة } لتغلبهم وتقهرهم فإن عالم الملك في قهر عالم الملكوت وتسخيره { وما جعلنا عدّتهم إلا } لابتلاء المحجوبين وتعذيبهم وزيادة احتجابهم وارتيابهم.

{ ليستيقن الذين أوتوا } كتاب العقل الفرقاني { ويزداد الذين آمنوا } الإيمان اليقيني العلمي { إيماناً } بالكشف والعيان فلا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون بالجهل البسيط المحجوبون.

أو ليستيقن الذين اوتوا الكتاب من المقلّدين ويزداد المحققون تحقيقهم ولا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون الذي لا اعتقاد لهم تحقيقاً ولا تقليداً

{ وليقول الذين في قلوبهم مرض } نفاق وشك من الجاهلين بالجهل البسيط { والكافرون } المحجوبون باعتقاداتهم الفاسدة من الجاهلين بالجهل المركب

{ ماذا أراد الله بهذا مثلا } أي: شيئاً عجيباً كالمثل المستغرب المتعجب منه أي: ما ذكرنا عدّتهم وما جعلناها كذلك إلا ليكون سبباً لظهور ضلال الضالين وهداية المهتدين كسائر الأسباب الموجبة لضلال من ضلّ وهداية من اهتدى مثل ذلك المذكور { يضلّ الله من يشاء } من أهل الشقاوة الأصلية { ويهدي من يشاءْ من أهل السعادة الأزلية { وما يعلم جنود ربّك } عددها

وكميتها وكيفيتها وحقيقتها إلا هو لإحاطة علمه بالماهيات وأحوالها { وما هي } أي: وما سقر متصل بقوله: سأصليه سقر من تتمة أوصافه وقوله: { وما جعلنا } إلى قوله: { إلاّ هو } اعتراض لبيان حال الزبانية { إلاَّ } تذكرة للبشر.

{ كَلاَّ وَٱلْقَمَرِ } { وَٱللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ } { وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ }

{ إِنَّهَا لإِحْدَى ٱلْكُبَرِ } { نَذِيراً لِّلْبَشَرِ }

{ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ }

{ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ }

{ إِلاَّ أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ } { فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ }

{ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ } { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ }

{ كلا } إنكار أن يكون تذكيراً لهم مطلقاً، فإن أكثرهم غير مستعدين مطبوع على قلوبهم محكوم بشقاوتهم فلا يتعظون به، ثم أقسم بالقمر أي: بالقلب المستعدّ الصافي القابل للإنذار المتعظّ به المنتفع بتذكيره تعظيماً له وبليل ظلمة النفس { إذ أدبر } أي: ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب بانشقاق نور الروح عليه وتلألؤ طوالعه وبصبح طلوع ذلك النور إذا أسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنوّر القلب { إنها } أي: سقر الطبيعة { لإحدى } الدواهي { الكبر } العظيمة أوحدية منها فردة لا نظير لها من جملتها كقولك: إنه أحد الرجال وإنها لإحدى النساء تريد فرداً منهم، منذرة { للبشر } أو إنذاراً أي: فرداً في الإنذار لهم لا لكلهم بل للمستعدّين القابلين الذين إن شاؤوا تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات إلى مقام القلب والروح وإن شاؤوا تأخروا بالميل إلى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فيها.

{ كل نفس } بمكسوبها { رهينة } عند الله لا فكاك لها لاستيلاء هيئات أعمالها وآثار أفعالها عليها ولزومها إياها وعدم انفكاكها عنها { إلا أصحاب اليمين } من السعداء الذين تجرّدوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا إلى مقام الفطرة ففكوا رقابهم عن الرهن هم { في جنات } من جنات الصفات والأفعال يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين لاطلاعهم عليها وما أوجب تعذيبهم وبقاءهم في سقر الطبيعة، فأجاب المسؤولون بأنّا سألناهم عن حالهم بقولنا: { ما سلككم في سقر }.

{ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ } { وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ }

{ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ }

{ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ }

{ حَتَّىٰ أَتَانَا ٱلْيَقِينُ }

{ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ }

{ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ }

{ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ } { فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ }

{ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً }

{ كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ ٱلآخِرَةَ } { كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ } { فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ }

{ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ }

{ قالوا } بلسان الحال أو القال: إنّا كنا موصوفين بهذه الرذائل من اختيار الراحات البدنية ومحبة المال وترك العبادات البدنية والحالية والرياضات والخوض في الباطل والهزؤ والهذيانات والتكذيب بالجزاء وإنكار المعاد التي هي رذائل القوى الثلاث الموجبة للانغمار في نار الطبيعة الهيولانية { حتى أتانا اليقين } أي: الموت فرأينا به ما كنا ننكره عياناً { فما تنفعهم شفاعة } شافع من نبي أو ملك لو قدر على سبيل فرض المحال لأنهم غير قابلين لها، فلا إذن في الشفاعة فلذلك فلا شفاعة فلا نفع فإن الشفاعة هناك إفاضة النور وإمداد الفيض ولا يمكن إلا عند قبول المحل بالصفاء .

ثم بين امتناع قبولهم لذلك وانتفاعهم بالشفاعة بإعراضهم عن التذكرة وبلادة قلوبهم كقلوب الحمر وتمنياتهم الباطلة لعنادهم ولجاجهم وعدم خوفهم من الآخرة لعدم اعتقادهم وكل ذلك بمشيئة الله وقدره، والله تعالى أعلم.